

الحياة إلا أن تريد شيئاً بدون سبب ، وأن تتألم دائماً ، ثم لا ينتهي الألم إلا بالموت . . . وهكذا تقابل الحياة الأحياء حتى يتفطر الكون ويمر فساده . « إن الوجود في نظر العقل غير كامل ، لأن نواقصه كثيرة ، وعنصر الألم فيه غالب على السعادة والراحة ، وبهذا يقضى على العقل أن يطوى الإرادة على نفسها ويسحقها من وجوده ، وإذا انهدمت الإرادة انهدم الوجود نفسه ، لأن الوجود ماهو إلا الإرادة الفعالة . ولكن نيتشه لا يذهب إلى هذه النتيجة التي أدركها شوپنهاور . فالوجود الذي لا يكمل في نظر العقل — عند شوپنهاور — فإنه يكمل كأثر فني يحمل إلى صاحبه القبضة الفنية . وفي مثل هذا الافتراض الذي يفترضه نيتشه يرى من واجب كل إنسان أن يستنفذ وسعه ويبدل جهده في امتلاك نصيبه من هذا الجمال ، باحتوائه على ما في نفسه من معنى الجمال ، وبأمله للوجود ولنفسه وبين الجمال

إننا في ساعة الإبداع الفني نشعر بقبضة لا تُحمد ولا تُحس إذ هي قبضة المبدع . وإذا كان الإنسان في هذه الحياة فرداً قائماً بذاته ، يخيم في عالم المادة ، فهو فنان بطبيعة خياله المبدع الوهاب . يستطيع أن يبدع إبداعاً من يخلق ويصور — إن كان فناً مبدعاً ، ويقدر أن يكون مبدعاً في تفكيره في الأثر الفني الذي يبعث في نفسه خياله الباطني ، لأنه يشاطر المبدع نفسه ويتحد معه في تخليقه . وهو في كلتا الحالتين متخيل صوراً وألواناً جديدة تبعث فيه القبضة الفنية ، ولا يضر هذه الصور أن تكون أخیلة أو أجلاماً ، لأن أجزاءها مقتبسة من الوجود ، ولا ينبني لهذه الصور أن تكون صوراً ضاحكة تملأ الجوارح أفرحاً ، فقد تكون صوراً تملأ الأفتدة ذعراً والنفوس شقاء ، وتكون بعد ذلك كله جميلة . . .

هذه الخاصة الماملة على إبداع الصور والأوهام ، وتغليب الناحية الخيالية على الناحية الحقيقية يدعوها نيتشه « الخاصة الأبولونية » : نسبة إلى « أبولون »^(١) ، والفن الأبولوني عنده هو النحت والتصوير والشعر القصصي . إن الرجل الأبولوني يستنقذ نفسه من التشاؤم باستسلامه للجمال . يقول للحياة : أما أريدك ، لأن صورتك جميلة ، بمجرد بها أن تكون مادة للحلم والخيال . . .

(١) إله الشعر والموسيقى

فصل ملخص في الفلسفة الرومانية

١٣ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

فريدريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

ونظرة واحدة إلى المواد التي شاء أن يلم بها تريتينا ما بذل صاحبها من قلبه وعقله في التحليل والاستقراء ، معالجاً الأدب اليوناني وتاريخ اليونانية القديمة ، والفصاحة اليونانية وتاريخ الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون . وبعض نظرات عميقة ينفذ بها إلى بعض فلاسفة أو شعراء . وقد قدر بنفسه أنه منجز خلال سبعة أعوام أو ثمانية درس كل ما يتعلق بإبراعة اليونان . وأقدم على المفادة بمشر سنوات من عمره ليكمل درس المسألة اليونانية من جميع وجوهها ، ولكن — ويا للأسف — ظلت هذه الأفكار صوراً مقتبسة ومقاطيع صغيرة غير كاملة . لأن صحته المختلة حالت بينه وبين تقديم ما ينبغي له لثل هذا الأمر ، فاشتى عن عمله هذا ، ولكن الصور التي تركها تكاد لا تخفى عنا الفكرة العامة التي أراد نيتشه أن يصورها وينشرها

يستند نيتشه بما اعتقد به معلمه « شوپنهاور » بأن جوهر الوجود هو الإرادة ، وهذه الإرادة واحدة عند كل الكائنات ، وهي تتجلى بثباتها وقوتها في جثمان الخليقة ؛ على أن هذه الإرادة هي شقية تفتقر إلى الرحمة لأنها تتأثر على الجهاد والمقاومة في هذا الوجود ، وهي موقنة عالة أن نتيجة الحركة عليها لا لها . « وهل

يادار أنت رجاء مصر وفي سوى
لن يستقيم لآل مصر بناؤهم
مادام ربك موحشاً قفراً فلن
يبقى بنيرك أمرهم فوضى به
لويلمون سعوا إليك ومشحو
حتى يعود الحق فيك لحضنه
ناديك ليست تبلى الأوطار
يوماً ورُكتك بينهم منهار
تلتام شلل أو يعزّ ذمار
يلهو اللثام ويبعث الأغمار
إما سمى للكعبة الزوار
وعزّ فيك ذمارهم يادار
فخرى أبو السعد

من أعماق الروح الشاعرة بالأوجاع والشقاء الغامر الأرض ، هو الذى أهاب باليونان ودعاهم إلى أن يكفوا معنى الحياة الناقصة بمخلوقهم آلهة هي آلهة جبال « أوليموس » ، هذه الآلهة هي نتيجة إبداع الروح « الأبولونية » وانتصارها . أرادوا أن يستنقذوا أرواحهم من حقيقة الوجود المروعة فمدوا إلى خالق شعب من الآلهة وجملة أوهام طبقوها على الحياة التي يرونها صالحة للظهور ؛ وهم مؤمنون بأن هذه الآلهة تعمل معهم على مجابهة التشاؤم . وهكذا لبست الحياة عندهم لباساً جديداً ، وظهرت ظهوراً جديداً ، وغدت جميلة في عيونهم لأن آلهة جميلة تتصرف بها وتقبل بأقدارها ؛ وهوميروس هو المثل الأعلى للروح الأبولونية ؛ ومقاطيعه وقصائده هي نشيد انتصار الحضارة اليونانية على سيئات الأجيال الغابرة ، وهي التي خلقت هذه الروح التي تغلب اليونان بأوهامها وأخيلتها على كآبة الحياة الحقيقية وقبحها . وإزاء هذه البراعة الأبولونية نشأت البراعة « الديونيزوسية » أو

براعة الأساة
« جمع »

خديل فنساري



والكن الانسان ليس بكائن يمكن تحديده بالذاتية ، أو بالانفصال ، فهو كائن يشعر بنفسه كإرادة متفوقة ، ويحس أنه قطعة من هذه الإرادة التوزعة في الوجود كله ، ويدرك أنه متحد مع كل ما يحيا وما يتألم ، تام الاتحاد مع الوجود . والانسان - في حالة ذهول أو سكر فاشي - عن مادة مخدرة ، أو إزاء حوادث طبيعية كمودة الربيع - يشعر بأن هذا الحاجز الذاتي الذي يفصله عن الوجود قد وحي وزال ، ويجد نفسه متحدة مع الطبيعة كلها ، وهذا الطور ما يدعوه نيتشه « الطور الديونيزوسى » ، نسبة إلى الآلهة « ديونيزوس »^(١) ولغة الرجل الديونيزوسى هي الموسيقى التي يعتبرها شوبنهاور لغة الإرادة الخالدة بل صورة الرغبة الدائمة المستترة في باطن الوجود ، والانسان - في هذا الطور - يحس بالألم الشامل والوهم الباطل وشقاء الفردية ، فيكاد يجنح إلى التشاؤم ، ولكنه يهتز قليلاً ويشعر بمخلوده ويدرك أن إرادته المفصلة إنما هي جزء من إرادة الوجود ، فتراه حيال كل مظهر من مظاهر الفناء ، أو مصرع بطل من الأبطال ، تراه يشعر بأن حياة الإرادة الباقية لم تنطفأ بموت البطل . إن الرجل الديونيزوسى يتخذ نفسه من التشاؤم لأنه يبصر خلود الإرادة ، والحادثات تمر والتقلبات تستمر ؛ هو يقول للحياة : أنا أريدك ؛ لأنك أنت الحياة الخالدة

وبهذين المذهبين يرى نيتشه أن اليونان قد قهروا التشاؤم ، وجعلوا الحياة جميلة زاهية ؛ ويرى أن التفاؤل اليونانى لم يكن وليد الخفة والعبث ، أو تجاهل لما يغمر الوجود من شقاء وألم ، ولكنه تفاؤل تولد من مثل أعلى وغاية أسمى ؛ والتأورخ الذى يستقرى هذه التأثيرات في مطلع تاريخهم يقين له أن القوم عرفوا الألم كما عرفناه ؛ وتدوقوا الشقاء كما تذوقناه

سأل ملك « ميذا » الفيلسوف « سيلين » ما عساك تجد خير شئ للانسان ؟ فأجاب الفيلسوف : « يا ذرية الشمس والألم ، وأبناء المصادفات والتعاب ؛ لماذا تنعمون على إذا جثتكم بالارتجاج له آذانكم ؟ إن الخير الذى لاخير بده هو ألا تكون - أيها الانسان - مولوداً ، وألا تكون موجوداً ، وألا تصير شيئاً ؛ والخير العاجل لك أن تاق مصرعك الآن ! » فهذا الألم المنبعث

(١) إله الحرة عند اليونان ، وهو « باخوس » عند الرومان